تماثيل كوديا

م. د. مجيد كوركيس يوحنا

كلية الآداب / جامعة بغداد

المقدمة :

كان كوديا الحاكم الثاني عشر من سلالة لكش الثانية واعظم امرائها . حكم لمدة عشرين سنة خلال الفترة من (٢١٤٤-٢١٢٤ق.م). أتسم حكمه بازدهار العلوم والفنون والمعارف واعمال البناء والعمران ونشطت التجارة في زمنه وتوسعت منافذها ، وخاصة مع بلاد دلمون (البحرين حالياً) ومكان (عمان حالياً) بالاضافة الى لبنان .

كان كوديا محباً للفنون والاداب ، بحيث نفذت في عهده اعمال فنية رائعة. وترك تراثاً ضخماً من النصوص الادبية والدينية التي وضحت جوانب من حضارة بلاد الرافدين في العصر السومري الحديث .

وقد خلف كوديا في الحكم ابنه نينكوسو في سنة (٢١٢٤ ق. م)[١].

- الفترة الزمنية :

اكتشف المنقب الفرنسي ايرنست دي سارزيك خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر في لكش قطع فنية من ضمنها تماثيل[٢] عليها كتابات مسمارية تذكر انها تمثل كوديا الذي امر بانجازها حينما كان اميرا لمدينة لكش في العصر السومري الحديث .

- مادة الخام :

ان المنحوتات المجسمة المتمثلة بتماثيل كوديا ، نفذت من حجر الديوريت، وهو من الصخور النارية، (والذي جلب بالسفن عن طريق التجارة من مكان (عمان حالياً) في الجزء الجنوبي من الخليج العربي)[٣] .

يتميز حجر الديوريت باللون الاسود وبصلابته الشديدة جداً ، ويظهر تحدياً جدياً لمهارة اقدر النحاتين ، الا انه يعطي انطباعاً بالقوة والوقار والهيبة ، لذلك يتلائم وروحية المواضيع التي تعبر عنها تماثيل كوديا .

- الموضوع والمضمون :

يظهر كوديا في تماثيله اما واقفاً او جالساً على كرسي بدون مسند خلفي، وتكون الايدي متشابكة امام صدره ،وهي وضعية الصلاة السومرية حينما يكون المتعبد بحضرة الاله الاشكال (١-١٠) باستثناء تمثال يمسك كوديا بيديه قارورة ينبعث منها الماء وهي وسيلة للتعبير عن اهمية الماء في خصب الارض والانماء والتكاثر الذي يؤدي الى الخير والعطاء وتحقيق الرفاهية في بلاد الرافدين الشكل (٢) .

كما ان كوديا في احد تماثيله وهو بوضعية الجلوس يضم مخطط بناء معبد حفر على رقيم في حضنه الشكل (٣).

كان كوديا اما حاسر الرأس الشكل (٤) او يعتمر بغطاء رأس يسمى في اللهجة الدارجة (جراوية) وهي مزينة بخطوط دائرية مكونة اشكالاً حلزونية بارزة على سطح الغطاء الشكل (٥) . ويكون كوديا في معظم الاحيان حليق شعر الرأس والشارب واللحية الاشكال (١-٨) . ويرتدي ملابس طويلة وبسيطة ، وهي عبارة عن رداء طويل فوقه ثوب على شكل شال مفتوح من الامام يصل الى كاحل القدمين، ويترك الكتف والذراع الايمن عاريين ،وقد اظهر الفنان طيات قليلة تحت

الابط الايمن والساعد الايسر . كما ان هناك تطريزة على شكل خطوط مائلة منفذة باسلوب التحزيز ومحصورة داخل شريط ضيق يزين حاشية الثوب الاشكال (١ - ١٠).

وضعت هذه التماثيل في معابد لكش ، وهي في وضعية المواجهة للناظر ، لانها تنوب عن كوديا باعتباره يمتثل امام الالهة ليل نهار من اجل خلق علاقة متينة بينه وبينها ، ولكي ترضى الالهة عن الانسان في بلاد الرافدين ، عليه ان يقدم لها الصلوات والنذور والقرابين ويقوم بتشييد المعابد وترميمها ، وبذلك يحقق ارادتها على الارض ، فتحل عليه النعمة بدلاً من النقمة ، فتحقق الرفاهية والسعادة والسلام في البلاد . اذن المضمون هو ديني .

- المزايا الفنية :

١. يختلف كل تمثال عن الاخر من ناحية الحجم ، بعضها نفذ بالحجم الطبيعي للانسان (١٧٠ - ١٦٥سم) الاشكال (٩ - ١٠) والبعض الاخر كان صغير الحجم (١٠٥سم ، ٩٣سم ،٦٢سم ، ٤٥سم) الاشكال (٧ ، ٣ ، ٢ ، ١) .

٢. نفذت معظم تماثيل كوديا بالاسلوب الواقعي ،دون المبالغة في طريقة الانجاز، ودون التوغل في التفاصيل سواء كانت لاعضاء الجسم او الملابس، مع الاهتمام والتركيز في هذه الواقعية على الرأس والجذع العلوي من الجسم الاشكال (١ - ١٠) .

٣. ان الحركة في معظم تماثيل كوديا مبنية على السكون ، حيث تم تمثيل كوديا سواء اثناء الوقوف او الجلوس بوضعية الصلاة السومرية، حينما يكون المتعبد بحضرة الاله، ولذلك لم يظهر الفنان المرونة والحيوية والنشاط في التماثيل، كان الفنان متقصداً باظهار الجمود في الحركة . لكي يعبر في عمله الفني انه الشخصية المتمثلة في هذه المنحوتات المجسمة

لها مركزها الديني والسياسي والاجتماعي،فالموقف يتطلب منه ان يبرز صفات الخشوع والاحترام والوقار والهيبة والرهبة والقدسية في تماثيله الاشكال (١ -١٠) .

٤. كان الفنان صادقاً في عمله الفني ،حيث تمكن نتيجة مقدرته الفنية العالية ان يظهر عنصر الزمان والمكان في نتاجاته الفنية المتمثلة بلحظة امتثال كوديا امام الاله في المعبد .

٥. ان الهيئة العامة للامير كوديا من خلال التماثيل هي :

كان رأس كوديا يميل الى الشكل البيضوي ،في حين ان الوجه هو على شكل دائري ، الاشكال (٢ ، ٤ -٧) والعيون لوزية الشكل واسعة (ومحدقة الى الامام)[٤]. وذات تشريح دقيق موضح فيها كل اجزاء العين، والمفروض ان تكون العين غائرة اكثر، من اجل تجسيمها لتقترب الى الشكل الطبيعي من الانسان ، وقد تم تضخيم الاجفان مما سبب قلة المسافة بين العينيين . والمعروف ان المسافة بين العينين هي عين ثالثة وهمية، الا ان الفنان جعل المسافة بين العينيين الحقيقتيين اقل من عين. اما المسافة في منطقة الصدغين فانها طبيعية ، وفيما يتعلق بكون العيون كبيرة وواسعة احتمالا هو التشبث بعيون الالهة التي تعبر عن الرؤية المطلقة، والحواجب معقودة وكبيرة ومبالغ فيها وتلتقي في اعلى الانف ، وشكلها مأخوذ من شكل سعف النخلة ، ان الاخدود تحت الحواجب رفيع وغير موجود في الانسان بالطبيعة ، ولكن النحات عالجه بالنحت الغائر في حين ان الحواجب كانت بالنحت البارز من اجل زيادة وضوحها واعطائها مبدأ الظل والضوء لتجسيمها . ان صياغة الحواجب بهذه الصيغة كدلالة على القوة والرجولة ، اما الانف فهو مستقيم وقصير . والاذان جعلت بموازاة الانف وهي كبيرة للدلالة على حكمة كوديا الشكلان (٤ -٥) .

اما الفم فهو صغير ومغلق وصعود نهايته قليلاً الى الاعلى ، كان من المفروض ان تظهر ولو ابتسامة خفيفة . لكن سبب اختفائها ، هو جعل الشفة العليا تنطبق بقوة على الشفة السفلى دلالة على اصغاء كوديا الى الاله بكل خشوع ورهبة. ومن المعلوم ان الشفاه وبالاخص النهايات اذا صعدت الى الاعلى يبدو الشخص اما في حالة الابتسامة او الضحك كدلالة على فرحته .

يبدو ان منطقة الذقن عند كوديا كانت صغيرة ومسطحة قليلاً ومما زاد من وضوحها هو الوجه المكتنز. ومن المعلوم ان الانسان كلما تقدم في السن، ان منطقة الذقن تزداد اضمحلالها وصغرها، وفي الوقت نفسه بروزها اي بروز عظام الفك السفلي على حساب العضلات التي تبدأ بالضمور. فنلاحظ ان النحات قد بالغ في معالجة ذقن كوديا وتسطيحه ولهذا السبب ان منطقة الفك السفلي اكثر ضخامة، ومنطقة اتصال الوجه بالرقبة عريضة ومملوءة . وبشكل عام ان ملامح الوجه واضحة ونفذها الفنان باسلوب واقعي مع اضفاء نوعاً من التعبيرية عليها. ولو ان الفنان لم يظهر التجاعيد في الوجه، على الرغم من ان انجاز هذه التماثيل في فترات زمنية مختلفة ، لان ملامح كوديا يتباين فيها العمر بين تمثال واخر والذي لا يتجاوز عن (٢٥ - ٤٠) سنة .

نلاحظ ان الانسجام والتناسق في ملامح وجه كوديا ، كعلاقة العيون بالانف والفم ، حيث الوجه المعبر بعينه المحدقتين، وبروز عظام وجنتيه وفكه المنخفض ، لذلك نجد ان الفنان اهتم اهتماماً شديداً بملامح كوديا واعطاء اولوية واهمية كبيرة على حساب الاجزاء الاخرى من جسم كوديا، ولهذا كان وجه كوديا يعبر تعبيراً صادقاً عن شخصيته المتمثلة بالرغبة الشديدة في تحقيق امنياته المتمثلة برضاء الالهة والبشر عنه عن طريق نشر الحق والعدل والايمان والسلام في ربوع بلاده.

اما بالنسبة للرقبة فانها قصيرة وغليظة ولهذه ان الرأس يستقر على الاكتاف كأنه بدون رقبة ، الاشكال (١ -٢ ، ٦ -٨) .

يظهر كوديا في بعض التماثيل قصير القامة مع جسم مكتنز ، الاشكال (١ -٢ ، ٨) . وفي تماثيل اخرى يبدو انه طويل ورشيق القامة . الاشكال (٧، ٩-١٠). ان الجسم الطبيعي للانسان يمثل (٧-٨) رؤوس تقريبا، ويتخذ الرأس كوحدة قياس ، في حين نجد بعض التماثيل ان النسبة تتراوح بين (٥-٦) رؤوس. ولهذا يبدو الجسم قصيرا. الاشكال (١-٢ ،٨) بينما نجد في تماثيل اخرى ان النسبة تصل الى سبعة رؤوس ولهذا يبدو الجسم طويلاً ورشيقاً الاشكال (٧ ، ٩ ، ١٠).

وقد تمكن الفنان وبجدارة من معالجة نسب اعضاء الجسم بعضها مع البعض الاخر باستثناء تمثال كوديا الجالس الشكل (١) حيث اخفق الفنان فيها وبالذات الاطراف العليا والسفلى بالنسبة للاطراف العليا فيها مبالغة ، بحيث لو فتحت علىامتداد الجسم ، انها تصل الى اسفل الركبة ، بينما في الانسان الطبيعي تصل الاطراف العليا الى منتصف الفخذ العلوي من الجسم في معظم تماثيل كوديا سواء كان الرأس او الصدر او الاطراف العليا .

وبشكل عام اهتم الفنان بالناحية التشريحية في الجزء العلوي من الجسم في معظم تماثيل كوديا سواء كان الرأس او الصدر او الاطراف العليا ، في حين لم يهتم الفنان بالجزء السفلي من الجسم . لو قطعنا الجزء العلوي والاقدام من التمثال يبدو على شكل اسطوانة طويلة ، وهذا ناتج لانعدام الحركة في الجزء السفلي منه . وهي ميزة من مزايا النحت المجسم في العصر السومري القديم واستمرت في مختلف العصور القديمة من بلاد الرافدين .

اهتم الفنان بالقدمين التي نحتت جنباً الى جنب في وضع استقرار تام مع اظهار تفاصليهما كاهتمامه باليد التي اظهرت رقيقة وذات اصابع حفرت اظافرها بشكل لطيف .

٦. استغل الفنان فراغ السطوح في التماثيل للكتابات المسمارية ، فتخلص من مشكلة كبيرة ، كانت تسبب في موت الناحية التعبيرية للتمثال ، ولكن الفنان تمكن من القضاء على الفراغ الموجود في سطح التمثال ،وبذلك استطاع ان يبعد عن هذه المناطق الجمود - والرتابة ، وخلق فيها الحركة المتأتية من تتبع العين (عين الناظر) الى حقول الكتابة ، وفي الوقت نفسه اعتبرت الكتابة عنصراً زخرفياً اضفى على ملابس كوديا سمة جمالية رائعة الاشكال (١ -٣) .

٧. تمت معالجة الاقدام بالنحت البارز في تماثيل كوديا والقسم الاعظم من المنحوتات المجسمة في بلاد الرافدين لعدة اسباب هي :

أ. اعتقد الفنان انه ليس من الضرورة نحت مؤخرة الاقدام ، لان التماثيل كانت توضع في المعابد في وضعية المواجهة للناظر لذلك اهتم بالجهة الامامية واهمل الجهة الخلفية .

ب. لم يفصل الفنان الاقدام او يحررها من كتلة الحجر. حيث كانت القاعدة جزء من التمثال، وذلك لثقل الكتلة الحجرية، فاراد الفنان ان تكون منطقة الاقدام قوية ومتينة، لذلك اسندها بخلفية تكون متصلة مع القاعدة ، لتكون قادرة على حمل ثقل جسم التمثال لكون الوزن والضغط المسلط عليها كبيراً لان الفنان اراد ان يخلق الثبات- والتوازن والاستقرار للتمثال الذي يشغل حيزاً من المكان في المعبد.

جـ. ان الاجزاء البارزة في المنحوتة المجسمة معرضة للكسر اكثر من باقي الاجزاء الاخرى. لذلك عمد الفنان الى معالجة الاقدام بالنحت البارز، من اجل حمايتها من العوامل الطبيعية لفترات طويلة من الزمن من جهة، والحفاظ عليها من الكسر والتهشيم من جهة اخرى.

٨. كانت النتاجات الفنية في العصر السومري الحديث متميزة ، لان الفنان في هذا العصر استطاع ان يوفق بين اسلوبين او مدرستين متمايزتين ، مازج بين الاسلوب السومري القديم والاسلوب الاكدي ، كان الفن السومري القديم فناً تجريدياً لم يهتم بالشكل وانما بمضمون العمل الفني ، بينما الفن الاكدي كان فناً واقعياً تعبيراً اعطى للشكل اهمية كبيرة كانت تفوق احيانا مضمون العمل الفني ، اما الفنان في العصر السومري الحديث تمكن وبكل مقدرة ان يخلق التوازن بين الشكل والمضمون .

٩. اهتم الفنان بصقل سطح العمل الفني ، ولذلك كان السطح املساً ناعماً الشكل (٤) .

الخلاصة :

تجلت قدرات الفنان السومري الحديث في المنحوتات المجسمة الرائعة التي تعود الى كوديا الذي تجنب ان يحمل لقب ملك واقتنع بمنصب امير (Ensi) وهوموظف من صنف رفيع يمارس وظائف دينية وسياسية معاً . لقد جعل من مدينة لكش مركزاً حضارياً كبيراً . ذلك ان القصور والمعابد قد زينت بنتاجات فنية رائعة وعلى الاخص تماثيله التي تزيد عن ثلاثين تمثالاً ، ويفتخر متحف اللوفر بباريس بامتلاك القسم الاكبر منها . نفذت هذه التماثيل من حجر الديوريت بخطوط بسيطة وبايجاز في التفاصل ، وبحس تعبيري شديد الروعة مما يعطيها مكاناً متميزاً في النحت العالمي ، لا نستغرب من ظهور قطع فنية منفردة بهذا الشكل مع النصوص المسمارية . في مدينة لكش ، لان كوديا يعتبر نموذجاً لحاكم السومري المثالي ،فقد كان راعياً للفنون والاداب التي تطلع اليها ليخلد ذكراه . كما كان عادلاً فكرس ذاته لاسعاد شعبه حيث يذكر في كتاباته (وجعلتهم كأنهم ابناء او واحدة)[٥] .

لو لا كوديا واسلافه واحفاده لما اعتبرت ارض الرافدين معجزة الحضارات الانسانية . ولما توصل الانسان في كل عصوره التاريخية الى هذا المستوى من الرقي الحضاري . وبلوغ الانسان ذرى المجد بفعل هؤلاء الخالدين الذين شيدوا صرح الحضارة الانسانية .

الهوامش :

١. حسن النجفي ، معجم المصطلحات والاعلام في العراق القديم ، دار واسط للنشر، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص٨٦ .

٢. سيتون لويد . آثار بلاد الرافدين ، ترجمة سامي سعيد الاحمد ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص٩٧٣-٩٧٥ .

٣. المصدر السابق ، ص١٧٦ .

٤. طارق عبد الوهاب مظلوم . ((النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحديث)) ، حضارة العراق ، الجزء الرابع ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٤٩ .

٥. طه باقر . مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، الجزء الاول ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص٣٧٩ .

المصادر العربية والاجنبية :

١. باقر ، طه . مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، الجزء الاول ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ .

٢. بارو ، اندريه . سومر فنونه وحضارتها . ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ،١٩٧٩ .

٣. لويد ، سيتون . آثار بلاد الرافدين ، ترجمة سامي سعيد الاحمد ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠ .

٤. مورتكات ، انطون . الفن في العراق القديم ، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، مطبعة الاديب البغدادية ، بغداد ، ١٩٧٥ .

٥. مظلوم ، طارق عبد الوهاب . (النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحديث) حضارة العراق ، الجزء الرابع ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٥ .

٦. النجفي ، حسن . معجم المصطلحات والاعلام في العراق القديم ، دار واسط للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢ .

٧. عكاشة ، ثروت . الفن العراقي القديم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، بدون تاريخ .

٨. الاشكال (١ ، ٤ -٧) مصورة عن كتاب :

Strommenger, E. The Art of Mesopotamia London, 1964.

الشكل - ١ -

الشكل - ٢ -

الشكل - ٣ -

الشكل – ٤ –

الشكل – ٥ –

الشكل – ٦ –

الشكل – ٧ –

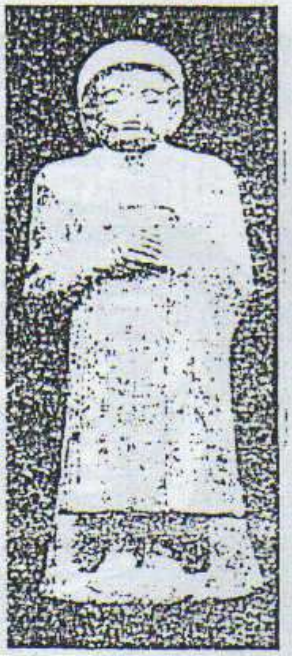

الشكل – ٨ –

الشكل – ٩ –

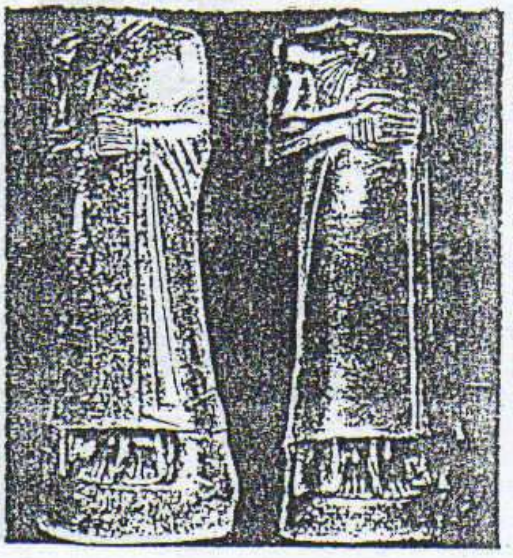

الشكل – ١٠ أ – الشكل – ١٠ ب –